

تفسير البغوي

152 - قوله تعالى : { ولقد صدقكم الله وعده } قال محمد بن كعب القرطبي : لما رجع رسول الله ﷺ وأصحابه إلى المدينة من أحد وقد أصابهم ما أصابهم قال ناس من أصحابه : من أين أصابنا هذا ؟ وقد وعدنا الله النصر فأنزل الله تعالى : .

{ ولقد صدقكم الله وعده } بالنصر والظفر وذلك أن النصر كان للمسلمين في الإبتداء { إذ تحسونهم بإذنه } وذلك أن رسول الله ﷺ جعل أحدا خلف ظهره واستقبل المدينة وجعل عينين وهو جبل عن يساره وأقام عليه الرماة وأمر عليهم عبد الله بن جبير وقال لهم : احموا ظهورنا فإن رأيتمونا قد غنمنا فلا تشاركونا وإن رأيتمونا نقتل فلا تنصرونا وأقبل المشركون فأخذوا في القتال فجعل الرماة يرشقون خيل المشركين بالنبل والمسلمون يضربونهم بالسيوف حتى ولوا هاربين فذلك قوله تعالى { إذ تحسونهم بإذنه } أي تقتلونهم قتلا ذريعا بقضاء الله .

قال أبو عبيدة : الحس : هو الاستئصال بالقتل .

{ حتى إذا فشلتم } أي : إن جبنتم وقيل : معناه فلما فشلتم { وتنازعتم في الأمر وعصيتهم } والواو زائدة في { وتنازعتم } يعني : حتى إذا فشلتم تنازعتم وقيل : فيه تقديم وتأخير تقديره : حتى إذا تنازعتم في الأمر وعصيتهم فشلتم ومعنى التنازع الاختلاف .

وكان اختلافهم أن الرماة اختلفوا حين انهزم المشركون فقال بعضهم : انهزم القوم فما مقامنا ؟ وأقبلوا على الغنيمة وقال بعضهم : لا تجاوزوا أمر رسول الله ﷺ وثبت عبد الله بن جبير في نفر يسير دون العشرة .

فلما رأى خالد بن الوليد و عكرمة بن أبي جهل ذلك حملوا على الرماة فقتلوا عبد الله بن جبير وأصحابه وأقبلوا على المسلمين وحالت الريح فصارت دبورا بعد ما كانت صبا وانتقض صفوف المسلمين واختلطوا فجعلوا يقتلون على غير شعار يضرب بعضهم بعضا ما يشعرون من الدهش ونادى إبليس أن محمدا قد قتل وكان ذلك سبب الهزيمة للمسلمين .

قوله تعالى : { وعصيتهم } يعني : الرسول الله ﷺ وخالفتم أمره { من بعد ما أراكم } أي { ما تحبون } يامعشر المسلمين من الظفر والغنيمة { منكم من يريد الدنيا } يعني : الذين تركوا المركز وأقبلوا على النهب { ومنكم من يريد الآخرة } يعني : الذين ثبتوا مع عبد الله بن جبير حتى قتلوا قال عبد الله بن مسعود : ما شعرت أن أحدا من أصحاب النبي ﷺ يريد الدنيا حتى كان يوم أحد ونزلت هذه الآية { ثم صرفكم عنهم } أي : ردكم عنهم بالهزيمة ليبتليكم { ليمتحانكم وقيل : لينزل البلاء عليكم } ولقد عفا عنكم { فلم يستأصلكم بعد

المعصية والمخالفة { وإِذْ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ }